تحقيق

غاصب مختار
jornalist.70@gmail.com

إعلام الحرب: من الإصطفافات إلى الوحدة الوطنيّة العدوان جمع المؤسّسات في لغة واحدة في التوصيف

فرضت الحرب الاسرائيلية على قطاع غزة ومن ثم على لبنان، نمطا جديدا من تعاطي معظم الاعلام المرئي والمسموع وبعض المكتوب مع طريقة التعبير والمفردات والمصطلحات في التعاطي مع الحدث، بحيث جمع العدوان المؤسسات الاعلامية على لغة واحدة في توصيف العدو والشهيد والمقاوم، وفي التعبير عن فظائع ارتكابات العدو

قبل الحرب كان الموقف السياسي يطغى على التعاطي مع الحدث السياسي والامني وغيرهما، وبعد اتضاح طبيعة العدوانية الاسرائيلية واستهداف المناطق السكنية والمواطنين الامنين في منازلهم واماكن رزقهم وسقوط عدد من شهداء الجيش والاعلاميين والمدنيين، تغيرت اللهجة الى حد كبير مع انها لم تكن شاملة، وتغير التوصيف، حيث اصبح القتيل مثلا شهيدا. اسرائيل اصبحت العدو، القصف والغارات اصبحت عدوانا، وغيرها من عبارات وتوصيفات خلقت نوعا من الوحدة الوطنية في التعاطي مع العدوان ونتائجه، انسانيا وعاطفيا واخلاقيا.

في هذين الحديثين لـ"الامن العام" مع رئيس المجلس الوطني للاعلام المرئي والمسموع عبدالهادي محفوظ والباحثة الاستاذة في علم الاجتماع الدكتورة هدى رزق نقاش في اسباب واهمية ونتائج تغيير وتوحيد المصطلحات والمفردات والتوصيفات المستخدمة خلال الحرب.

محفوظ: السياسة الاعلامية التزمت الضوابط الوطنية

■ لوحظ تغيير واضح في تعاطي الاعلام المرئي المسموع مع الادبيات والتعابير المستخدمة للتعاطي مع الحرب على لبنان بحيث تحول من سياسي الى وطني جامع، فما هي الدوافع لذلك؟

□ الاستثمار في الاعلام لا يكون لا في التضليل الاعلامي ولا في المبالغة ولا في المخاطبة التي لا تصل الى الاخر، وانما تبقى في محيط ضيق. دور الاعلام الاساسي هو في ايصال الحقيقة وصناعة الرأي العام والتأثير به وارباك الاعلام المضاد. من هنا اهمية ان يكون الاعلام موضوعيا ويعتمد على المعلومة الدقيقة ويمتلك الوسائل الضرورية لايصال هذه المعلومة الى الرأي العام الدولي والغربي، وفي شكل خاص الاميركي والاوروبي، وهذا يفترض التمييز بين الشعوب الغربية وانظمتها، وهذا ما غاب نسبيا في الخطاب الاعلامي الذي واكب ما بعد عملية "طوفان الاقصى" والحرب الاسرائيلية على غزة.

■ هل ترك تغيير التعاطي تأثيرا لدى الرأي العام اللبناني والعربي والغربي وخفف من سلبيات المواقف السياسية لدى القوى السياسية والرأي العام؟

□ تذهب السياسة الاميركية في الاعلام الى تقسيم العالم الى قسمين: عالم الاخيار وعالم الاشرار. هذا نوع من التبسيط الاعلامي. هناك قوانين دولية وشرائع حقوقية ساهم فيها الغرب بشكل اساسي لا تخدم هذا النمط من التقسيم للعالم، ويمكن في المواجهة الحالية بين اسرائيل وغزة وفي الضفة وعلى الحدود اللبنانية البناء على هذه القوانين والشرعات الحقوقية، لانها في صلب ثقافة شعوب الغرب الذي ليس بالضرورة مساندا لخطاب انظمته. والدليل هو التظاهرات التي تعترض على قتل الاطفال والنساء وسياسات التدمير والتهجير في غزة.

■ هل ترى ان هذا التوجه سيدوم ام انه موقت؟

□ في الحرب على غزة كان الحدث هو مصدر الخبر. فالكاميرا سلطت الاضواء على قتل الاطفال والنساء وسياسات التدمير والتهجير القسري، مما افقد الاعلام الاسرائيلي الذي اعتمد على التضليل الاعلامي والتعتيم اي صدقية او فعالية، وانتج رأيا عاما دوليا متعاطفا مع غزة بمعزل عن التوجه الايديولوجي لحماس، وهكذا رست معادلة جديدة. فمن جانب فعل الرصاص، ومن جانب آخر فعل الكلمة والكاميرا. السياسات الاسرائيلية الرامية الى قتل الصحافيين الفلسطينيين واللبنانيين في غزة وفي الجنوب اللبناني، كان لها فعلها في ابراز مخالفة اسرائيل للقانون الدولي الانساني ولحق المواطن في الاطلاع والاستطلاع.

■ هل يؤسس ذلك لنقلة نوعية في الاعلام المرئي والمسموع للتعاطي مع القضايا الوطنية الكبرى بروحية مختلفة بما يعزز الوحدة الوطنية ويخفف التحريض والشحن السياسي والطائفي؟

□ تكرار المسؤولين الاسرائيليين تهديدهم بتحويل بيروت الى غزة اخرى مدمرة كان له اثره في تمتين الوحدة الداخلية اللبنانية، عكس ما يريده الاسرائيلي من تأجيج الخلافات الداخلية. وهنا ايضا لعب الاعلام المرئي والمسموع والالكتروني والمكتوب اللبناني دوره الايجابي:

اولا في ادانة الحرب على غزة، وفي التضامن مع الفلسطينيين.

ثانيا في حجب الخلافات السياسية والطوائفية عن الشاشات والاخبار، والتأكيد على المشترك بين اللبنانيين.

ثالثا في تغطية اخبار الاعتداءات على الجنوب اللبناني من منظور وطني، من قبل كل المؤسسات الاعلامية.

رابعا في سقوط شهداء صحافيين لبنانيين واستهدافهم بشكل مقصود.

خامسا العقلانية التي اتبعتها المقاومة في الجنوب بارسائها قواعد اشتباك محددة وخطوطا حمرا.

سادسا في تميز الاعلام اللبناني على اختلافه بانه كان اعلاما موضوعيا. فهذه هي صورة الاعلام المرئي الذي كان سابقا محكوما بالانقسام.

للامانة في هذا المجال، سمعت في اكثر من مناسبة اشادة بالتغطية الاعلامية لقناةMTV.

في اختصار، السياسة الاعلامية اللبنانية ابتعدت من الاثارة السياسية والطوائفية والتزمت الضوابط الوطنية الجامعة واسهمت الى حد بعيد بتهدئة الخطاب السياسي وانفعالات السياسيين، وشجعت على التلاقي بين المكونات الداخلية اللبنانية وفي العلاقة مع المخيمات الفلسطينية. كما ان الاعلام اللبناني كان مصدرا موثوقا في الغرب وفي صناعة الرأي العام عموما. وهذا ما يمكن مستقبلا ان يشكل مدخلا لاستعادة دور لبنان الاعلامي في المنطقة، خصوصا في ظل الارتباك الاعلامي الرسمي العربي في كبفية تعاطيه مع الحرب الاسرائيلية على غزة. إذ كان اقرب الى الحياد في قضية يصعب فيها مثل هذا الموقف الذي تذهب فيه دولة جنوب افريقيا الى محاكمة اسرائيل بتهمة العنصرية والابادة الجماعية. علما ان الرأي العام الشعبي العربي المتجاوب مع القضية الفلسطينية لم يمتلك ادوات التعبير لا في الاعلام ولا في الشارع. فوفقا لملاحظات الباحثين كان هناك فقدان الاجماع العربي التقليدي في شأن القضية الفلسطينية عموما والمعركة الدائرة في غزة راهنا.

رئيس المجلس الوطني للاعلام المرئي والمسموع عبدالهادي محفوظ.

> **ايجابيات لدور الاعلام اللبناني على المستوى الخارجي**

■ ما هو دور المجلس الوطني في هذا التوجه الجديد وهل جرت اتصالات مع المؤسسات لتغيير الخطاب والتعاطي؟

□ في المجلس الوطني للاعلام المرئي والمسموع شجعنا على نهج السياسات الوطنية الاعلامية وعلى الخروج من سياسات الاثارة الطوائفية والسياسية. كما ان تعاطف الرأي العام اللبناني مع صمود الشعب الفلسطيني في غزة كان من العوامل الايجابية الفاعلة في ارساء معادلات اعلامية لبنانية جديدة تؤسس للحوار بين اللبنانيين على قاعدة التلاقي لا التنافر، وعلى اعتبار الدولة سياجا لكل اللبنانيين يحميهم من الاعتداءات على السيادة. وهي اعتداءات كانت تكررها اسرائيل في لحظات الضعف اللبناني والخلافات الداخلية.

رزق: الاعلام تعاطى منطقيا مع ما جرى

■ ما هو تأثير تغيير التعابير التي كانت مستخدمة في مؤسسات الاعلام المرئي والمسوع في تغطية وقائع الحرب على سير مواجهة لبنان الرسمي والشعبي لهذه الحرب؟

□ شهد تعاطي معظم وسائل الاعلام اللبنانية مع وقائع الحرب على لبنان تغييرا في التعابير لاسباب عدة تعود الى ان اسرائيل وهي مصنفة في العرف والدستور بأنها عدو، وهناك توجس من ان تعتدي على لبنان كل لبنان، كما حددت في تهديداتها. وهو امر يستدعي اعتبارها عدوا يهدد كل الوطن، مع ان النقد طال حزب الله من بعض ◄

◄ السياسيين وبعض الناشطين من الذين لا يتوافقون معه سياسيا ويتهمونه بجر لبنان الى حرب. لا يمكن تاليا اغفال تجربة حرب 2006 التي خرجت منها اسرائيل بتحقيق "لجنة فينوغراد" مما اعتبر هزيمة لها. وكانت بعض وسائل الاعلام المحلية قد تعاطت مع المقاومة الاسلامية بانها تورط لبنان، لكن تم الاعتراف بالنصر لها ولشهدائها.

■ هل تبدل مزاج الرأي العام والاعلام الخاضع لقوى سياسية مختلفة ومتناحرة ام ان ضرورات المعركة الوطنية فرضت ذلك؟

□ لا شك في ان المجازر التي يقوم بها العدو الاسرائيلي والتطهير العرقي الذي يمارس في غزة اثار الرأي العام وطال اللبنانيين بشكل كبير، لذلك تغيرت نظرة الرأي العام بازاء اسرئيل. هناك قوى سياسية محلية كانت متأثرة بالدعاية الغربية والصهيونية حول الديموقراطية الاسرائيلية. لكن ما جري من وحشية واحتقار للعرب وتشبيههم بالحيوانات البشرية، اثار الوعي لدى معظم وسائل الاعلام الى العنصرية التي يتبعها الكيان الاسرائيلي. لذلك، كان هناك تغيير في المفاهيم والتعابير وهي مسألة مهمة اثرت على العالم، فكيف بالحري على وسائل الاعلام اللبنانية التي خسرت صحافيين من وسائل اعلام مختلفة في الجنوب اللبناني، وهم ليسوا مقاتلين.

■ هل اثر ذلك على مفاهيم الرأي العام تجاه القضايا الوطنية الكبرى ام انها طفرة موقتة، وماذا يتطلب تكريس الخطاب الوطني في الاعلام بشكل دائم؟

□ في الاساس الحرب هي على غزة اي على فلسطين، وجميع وسائل الاعلام العربية تعاطت مع الموضوع بقدر كبير من المهنية من جهة، وانتبهت لاستعمال التعابير. ولا ننسى ان هناك اعلاما ممولا من الدول العربية كان حريصا على عدم استفزاز الرأي العام، حتى لو كانت مواقفه غير ايجابية اتجاه حركة حماس. لبنان منذ عام 1948 يعيش نكبة

الباحثة الاستاذة في علم الاجتماع الدكتورة هدى رزق.

"للتوافق على تعابير ومفاهيم اعلامية تحدد العدو طبقا لمفهوم السيادة"

فلسطين وهو ليس في معزل عما يجري في المنطقة، لاسيما وان اسرائيل اعتدت عليه واحتلت اراضيه ولم تخرج منه سوى بالمقاومة. اللبنانيون جميعهم عاشوا هذه المراحل، وهم يعلمون ان لاسرائيل مطامع بالارض وبالثروة الهيدروكربونية. لكن هل يمكن ان يستمر الموقف الموحد بين اللبنانيين؟ اظن ان هناك مشكلات اساسية يختلف عليها اللبنانيون، وهي تخص مفهوم السيادة، لذلك المواقف مختلفة والتفاهم على هدا الموضوع اساسي وحله يرتبط بالمصلحة اللبنانية. من المهم ان يرى اللبنانيون الاسرائيلي ومطامعه على حقيقتها، من دون تزييف سياسي واعلامي، لكي يتمكنوا من تحديد سياستهم تجاهها.

■ هل اثرت المجازر المرتكبة بحق المدنيين في خيارات وتوجهات الاعلام المرئي والمسموع والرأي العام عاطفيا تجاه ما يجري في الجنوب وغزة؟

- الاعلام تعاطى عاطفيا ومنطقيا مع ما جرى في غزة، لكنه تلقى درسا في السياسية جوهره ان المواقف في الداخل يجب ان تكون موحدة من العدو والصديق، لاسيما وانه لا يمكن تبرير المطامع والتخفي وراء تطبيع الدول العربية. فرغم الاتفاقيات المعقودة بين الكيان الاسرائيلي والدول العربية ومنها الاساسية اي الحدودية، رأينا كيف يتم التعامل مع البعد القومي لهذه الدول ومحاولة الاستيلاء على ارض سيناء لتهجير الفلسطينيين اليها، والتعدي على سيادة الاردن بتهجير اهل الضفة الغربية، مما قد يغير النظام في الاردن وقد يسيء الى الامن القومي المصري ويحملهما مسؤولية انهاء القضية الفلسطينية. اذا، لا بد للبنانيين من التوافق على تعابير ومفاهيم اعلامية تحدد العدو طبقا لمفهوم السيادة اللبنانية والامن.